سورة الزلزلة
- دراسة تحليلية -

م.د. هاجر مجيد عبد
الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية / قسم التفسير

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

الملخص

تناول هذا البحث أهمية علم تفسير القرآن الكريم عمومًا، وسورة الزلزلة خصوصًا، لما لهذه السورة من معنى ومضمون خاص.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى أربعة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول: اسمها وفضلها.
- والمبحث الثاني: تحليل ألفاظ هذه السورة.
- والمبحث الثالث: دراسة المعنى العام لهذه السورة.
- والمبحث الرابع: الإعجاز في هذه السورة.
- ثم الخاتمة التي تضمنت أهم نتائج البحث.

Abstract:

This research «Sorat Alzalzala – analytical study» studies the importance of Holy Quran explanation science generally and Alzalzala sorah specially, because the special meaning and content of this sorah.

The nature of the research made me divide it into four chapters and a conclusion.

- The first chapter was about its name and merits.
- In chapter two I analyzed the words used in this sorah.
- In chapter three I studied the overall meaning of this sorah.
- Chapter four was about the miraculous contents of this sorah.
- Then the conclusion which contents the important results of the research.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

المقدمة

قد ظهر علم التفسير مع نزول القرآن الكريم، وإن لم يكن بالكثرة الموجودة الآن، لأن الصحابة شهدوا التنزيل وعاصروا الحوادث، ومن تصفح كتب السنة وجد جواباً للتفسير فيه، ككتاب التفسير من صحيح البخاري فكانت الآيات تنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) فتشكل على الصحابة فيكشف عن ما أشكل عليهم، أو يبينها لهم ابتداءً، واعتنى الصحابة (رضي الله عنهم) بالقرآن الكريم وأولوه جلّ عنايتهم واهتمامهم، ونظراً لقوة فهمهم، وسعة إدراكهم ومعرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها، وأحوال الناس وعاداتهم، جعلهم يستوعبون ما في القرآن من معاني وأحكام، ولذلك ما احتاجوا إلى جلب تفسيرها والسؤال عنها.

إلا أن الصحابة أنفسهم متفاوتون في فهم القرآن، تبعاً لتفاوتهم في المواهب والإطلاع على لغتهم وأدبها ولهجاتها، ومعرفة أسباب النزول وغير ذلك.

وأكثر الصحابة اشتغالاً بالتفسير وممارسة له أربعة وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي كعب (رضي الله عنهم) كما اعتنى التابعون بالتفسير ونقلوا روايات الصحابة وزادوا فيها ما استنبطوه بأنفسهم، وما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير، وأشتهر التابعين الذين اعتنوا بالتفسير: مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وطاووس وغيرهم، وظهرت اتجاهات متعددة في التفسير، فمنها: التفسير بالأثر، والتفسير بالرأي، والتفسير العلمي، والتفسير الاصطلاحي، والتفسير الموضوعي، وغير ذلك.

وتعد سورة الزلزلة، كما يقول أحد المفسرين عن هذه السورة: (أنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار)).

وسورة الزلزلة مدنية، وهي في أسلوبها تشبه السور المكية، لما فيها من أهوال وشدائد يوم القيامة، وهي هنا تتحدث عن الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة، حيث يندك كل صرح شامخ، وينهار كل جبل راسخ، ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة، ما يندهش له الإنسان، كإخراج الأرض ما فيها من موتى، وإلقائها ما في بطنها، من كنوز ثمينة من ذهب وفضة، وشهادتها على كل إنسان بما عمل على ظهرها، تقول: عملت يوم كذا وكذا، وكل هذا من عجائب ذلك اليوم الرهيب، كما تتحدث عن انصراف الخلائق من أرض المحشر، إلى الجنة أو النار، وانقسامهم إلى فريقين ما بين شقي وسعيد {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}.

وقد قسمت بحثي إلى أربعة مباحث:
تناولت في المبحث الأول: اسمها وفضلها
والمبحث الثاني: تحليل الألفاظ.
المبحث الثالث: المعنى العام للسورة.
المبحث الرابع: الإعجاز في السورة.
وقد رتبت جهدي من خلال استقراء المصادر التي تناولت موضوع البحث.
وقد اعتمدت في بحثي هذا على عدة مصادر ذكرتها في نهاية بحثي، أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

المبحث الأول / اسمها وفضلها

المطلب الأول / بين يدي السورة (سورة الزلزلة)

وهي مدنية في قول ابن عباس وقتادة، ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر.
عن ابن عباس قال: نزلت إذا زلزلت بالمدينة.
عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: أقرئني يا رسول الله، قال: أقرأ ثلاثاً من ذوات الراء، فقال الرجل: كبر سني، وأشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: أقرأ ثلاث من ذوات صم، فقال مثل مقالته الأولى، فقال: أقرأ ثلاثاً من المسبحات، فقال مثل مقالته الأولى، وقال أقرئني يا رسول الله سورة جامعة، فأقرأه إذا زلزلت الأرض زلزالها حتى فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): أفلح الرويجل، أفلح الرويجل).
وأخرج الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من قرأ إذا زلزلت الأرض عُدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ: قل هو الله أحد عُدلت له بثلث القرآن، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عُدلت له بربع القرآن).
وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) (إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن)).

المطلب الثاني / اسمها سورة الزلزلة.

عدد حروفها: حروفها: مائة وتسعة وأربعون.
كلمها: خمس وثلاثون.

آياتها: ثمان).

ترتيبها في المصحف: التاسعة والتسعون.

نزلت بعد سورة النساء.

الجزء (٣٠) الحزب (٦٠) الربع (٧).

المطلب الثالث / سبب نزولها

قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه} قال مقاتل نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه الثمرة والكسرة والجوزة ويقول وما هذا شيء وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة والغيبة والنظرة).

ويقول ليس علي من هذا شيء إنما أوعد الله بالنار على الكبائر فأنزل الله عز وجل يرغبهم في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إلى آخرها).

٢- تسميتها:

سميت سورة الزلزلة أو الزلزال لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال العنيف قبيل يوم القيامة: {إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا}).

المطلب الرابع / مناسبتها

١- مناسبة سورة الزلزلة لما قبلها وما بعدها: وردت عقب سورة البينة ليبين بها حصول جزاء الفريقين ومآل الصنفين المذكورين في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}.

وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}.

ولما كان حاصل ذلك افتراقهم على صنفين ولم يقع تعريف بتباين أحوالهم، عقب ذلك بمآل الصنفين واستيفاء جزاء الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}). أما مناسبتها لسورة العاديات، فقوله في هذه السورة: {إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ} من المناسبة والعلاقة).

٢- مقصودها: انكشاف الأمور، وظهور المقدور أتنم الظهور، وانقسام الناس في الجزاء في دار البقاء إلى سعادة وشقاء وعلى ذلك دل أسمها بتأمل الظرف ومظروفه وما أفاد من بديع القدر وصروفه).

وقيل: معظم مقصود السورة هو بيان أحوال القيامة وأهوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل في قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه}).

ما اشتملت عليه السورة:

أسلوب هذه السورة المدنية وموضوعها يشبه أسلوب وموضوع السورة المكية، لإخبارها عن أهوال يوم القيامة وشدائدها).

المبحث الثاني / تحليل الألفاظ

المطلب الأول / القراءات

قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}.

قال ابن مسعود قرأ: تنبئ أخبارها).

وسعيد بن جبير تنبئ).

وقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}.

وقرأ الجهور: ليُروا بضم الياء.

وقرأها نافع في رواية: بفتحها).

وهشام وأبو بكر بسكون الهاء فيهما.

وأبو عمرو بضمها مشبعتين.

وباقي السبعة: بإشباع الأولى وسكون الثانية.

والإسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش ولم يحكمها سيبويه وحكاها الكسائي عن بني كلاب وبني عقيل وهذه الرؤية رؤية البصر، وقال النقاش ليس برؤية بصر.

وإنما المعنى يصيبه ويناله).

وقرأ عكرمة: يراهُ بالألف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم لحذف الحركة المقدرة في حروف العلة.

المطلب الثاني / تحليل الألفاظ

(زُلْزِلَتِ) حركت تحريكاً عنيفاً، وقيل تحركت واضطربت)، وقيل إذا حركت الأرض بعنف من أسفلها حركة شديدة واضطربت اضطراباً هتئلاً حتى يتكسر كل شيء عليها)، (أَثْقَالَهَا) الموتى الذين في جوفها، جمع ثقل وهو الشيء الثقيل، وقيل أمتعة البيت)، ومنه {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ}) قال

الأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها)، وإن كان فوقها فهو ثقل عليها (يَصْدُرُ) ينصرف ويخرج، والصدور ضد الورود، فالوارد الآتي، والصادر المنصرف) (أَشْتَاتاً) متفرقين جمع شت يقال: ذهبوا أشتاتاً أي متفرقين.

التفسير: {إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا} أي إذا حركت الأرض تحريكاً عنيفاً، واضطربت اضطراباً شديداً، واهتزت بمن عليها اهتزازاً يقطع القلوب ويُفزع الألباب كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}) قال المفسرون: إنما أضاف الزلزلة إليها (زِلْزَالَهَا) تهويلاً كأنه يقول: الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها، وذلك عند قيام الساعة تتزلزل وتتحرك تحريكاً)، متتابعاً، وتضطرب بمن عليها، ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناءٍ وقلاع {وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا} أي وأخرجت الأرض ما في بطنها من الكنوز والموتى، قال ابن عباس: أخرجت موتاها وقال منذر ابن سعيد: أخرجت كنوزها وموتاها وفي الحديث ((تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة، فجيء القاتل فيقول في هذا قتلتُ، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء اليارقُ فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً)) {وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا}؟ أي وقال الإنسان: ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة، ولفظت ما في بطنها؟! يقول ذلك دهشة وتعجباً من تلك الحالة الفظيعة {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} أي في ذلك اليوم العصيب يوم القيامة تتحدث الأرض وتخبر بما عُمل عليها من خير أو شر، وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها، عن أبي هريرة قال: ((قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم): {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} فقال: ((أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا، كذا وكذا، فهذه أخبارها ((وفي الحديث)) تحفَّظوا من الأرض فإنه أمكم، وإنه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} أي ذلك الإخبار بسبب أن الله جلت عظمته أمرها بذلك، وأذن لها أن تنطق بكل ما حدث وجرى عليها، فهي تشكو العاصي وتشهد عليه، وتشكر المطيع وتثني عليه، والله على كل شيء قدير {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً} أي في ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب، وينصرفون متفرقين فرقاً فرقاً، فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذٌ ذات الشمال إلى النار {لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} أي لينالوا جزاء أعمالهم من خير أو شر {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه} أي فمن يفعل من الخير زنة ذرةٍ من التراب، يجده في صفيحته يوم القيامة ويلق جزاءه عليه قال الكلبي: الذرةُ أصغرُ النمل وقال ابن عباس: إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها، فكلُّ واحد مما لصق به من التراب ذرة {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه}.

المطلب الثالث / الوجوه الإعرابية والبلاغية للسورة

{إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا} إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بتحدث وهو الجواب وجملة زلزلت في محل جر بإضافة الظرف إليها وزلزلت فعل ماض مبني للمجهول والأرض نائب فاعل وزلزالها مفعول مطلق وهو مصدر مضاف لفاعله والمعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمتها، وقيل إذا لمجرد الظرفية والعامل فيها محذوف أي يحشرون وقيل أذكر مفعول به وقراءة العامة بكسر الزاي وقرئ بفتحها فقيل هما مصدران).

{وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا} نسق على ما تقدم وأخرجت الأرض فهل ماض وفاعل، وأثقالها مفعول به ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التقرير وتفخيم هول الساعة، وقيل الجملة معطوفة على ما قبلها).

{وقال الإنْسانُ ما لَها} الواو عاطفة وقال الإنسان فعل وفاعل وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ولها خبر، وفي الإنسان قولان: أحدهما أنه اسم جنس يعمّ المؤمن والكافر أي يقول الجميع ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون: من بعثنا من مرقدنا والثاني أنه الكافر خاصة لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} يومئذ ظرف أضيف إلى مثله ومحله النصب على أنه بدل من إذا)، والعامل فيه هو العامل في المبدل منه والتنوين عوض عن جملة أي يوم إذ تزلزل الأرض زلزالها وتخرج الأرض أثقالها ويقول الإنسان ما لها فحذفت هذه الجمل الثلاث وناب منابها التنوين فاجتمع ساكنان وهما الذال والتنوين فكسرت الذال لالتقاء الساكنين وليست هذه الكسرة في الذال بكسرة إعراب وإن كانت إذ في موضع جر بإضافة ما قبلها إليها وإنما الكسرة فيها لالتقاء الساكنين وهذا التنوين يسمى تنوين العوض.

وتحدث فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هي أي الأرض ومفعول تحدث الأول محذوف أي الخلق {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} الباء حرف جر وأن وما في حيّزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقتان بتحدث والمعنى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث وأن وأسمها وجملة أوحى خبرها ولها متعلقان بأوحى واللام بمعنى إلى وإنما أوثرت على إلى لمراعاة الفواصل وما يتعدى بإلى يجوز أن يتعدى باللام ولا عكس {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} يومئذ ظرف أضيف إلى مثله بدل من يومئذ قبله أو ما متعلق بيصدر أو هو مفعول لأذكر مقدر ويصدر الناس فعل مضارع وفاعل واشتاتا حال من الناس جمع شت أي متفرقين يقال أمر شت وشتات متشتت ومتفرق.

وليروا اللام للتعليل ويروا فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو نائب

فاعل وأعمالهم مفعول به ثان والرؤية بصرية ولذلك عدّيت إلى اثنين لأن أرى يتعدى إلى ثلاث ولام التعليل ومدخولها متعلقان بيصدر {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه} الفاء تفريعية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويعمل فعل الشرط وفاعله هو يعود على من ومثقال ذرة مفعول به وخيرا تمييز أو بدل من مثقال ويره جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول يرد وفعل الشرط وجوابه خبر من والجملة الثانية عطف على الأولى وإعرابها مماثل لإعرابها.

البَلاَغة:

تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع نجزها فيما يلي:

١- الإضافة للتهويل) والتفظيع (زِلْزَالَهَا).

٢- الإظهار في مقام الإضمار (وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ) لزيادة التقرير والتوكيد.

٣- الاستفهام للتعجب والاستغراب وقيل الاستهجان)، {وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا}؟.

٤- جناس الاشتقاق (زُلْزِلَتْ. . زِلْزَالَهَا)).

٥- المقابلة بين (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً. .) وبين (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً. .).

٦- السجع المرصَّع كأنه الذهب السبيك أو الدر والياقوت مثل (زِلْزَالَهَا، أَثْقَالَهَا، أوحى لَهَا، أَخْبَارَهَا، مَا لَهَا) وهو من المحسنات البديعية).

المبحث الثالث / المعنى العام للسورة

المطلب الأول / المعنى العام للسورة

{إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا} أي حركت من أصلها وكان يقول في النفخة الأولى بزلزالها ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الأثقال).

{وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، قال أبو عبيدة الأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها).

وقال ابن عباس ومجاهد: أثقالها: موتاها تخرجهم في النفخة، الثانية ومنه قيل للجن والأنس الثقلان.

{وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا}، زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزلت وتلفظ موتاها أحياء فيقولون).

{لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}، يعني ثواب أعمالهم).

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه}، فمن يعمل في الدنيا وزن

نملة صغيرة أو هباء لا يرى إلا في ضوء الشمس، والمراد أي عمل مهما كان صغيراً فإنه يجده يوم القيامة في كتابه ويلقى جزاءه فيفرح به وكذلك من يعمل في الدنيا أي شيء من الشر ولو كان حقيراً أو قليلاً يجد جزاءه يوم القيامة فيسوؤه).

ونظير الآية في قوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}).

ذلك لما يهرهم من الأمر الفضيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وهد الرحمن وصدق المرسلون).

{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}، تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها.

{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}، أي أنها تحدث أخبارها بوحي الله لها أي إليها).

{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً}، أي فرقاً، قيل عن موقف الحساب، فريق يأخذ جهة اليمين إلى الجنة، وفريق يأخذ جهة الشمال إلى النار، وقيل يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب أشتاتاً).

المطلب الثاني / أهداف السورة

وقد اشتملت السورة على هدفين:

١- بيان حدوث الزلزال والاضطراب الشديد للأرض يوم القيامة، فيها ركل ما عليها، ويخرج الناس الموتى من بطنها من قبورهم، وتشهد حينئذ على كل إنسان بما عمل على ظهرها إذا زلزلت الأرض زلزالها الآيات (١-٥)).

٢- الحديث عن ذهاب الخلائق، لموقف العرض والحساب ثم مجازاتهم على أعمالهم، وقسمتهم فريقين: سعيد إلى الجنة وشقي إلى النار: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه}).

المبحث الرابع / الإعجاز في السورة

المطلب الأول / الإعجاز في السورة

- الإعجاز العلمي في السورة:

قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا}.

تصف لنا هذه الآيات بعض مشاهد قيام الساعة والتي من مشاهدها الزلزال العظيم الذي سوف ينتاب الكرة الأرضية يوم القيامة، وكلمة إذا هنا تجمع ما بين الظرفية والمباغتة والمفاجئة وذلك

لأن الزلازل تتم بدون علم الناس وبدون سابق إنذار فيصف لنا الله تعالى أهوال هذا اليوم حيث الأرض تخرج أثقالها من باطنها إلى سطحها الخارجي.

لقد أجمع المفسرين تقريباً بأن المقصود بجملة وأخرجت الأرض أثقالها إنما يقصد به بعث وخروج المعنى من أجداثهم ويرافق ذلك خروج الكنوز المدفونة والمسلم بها أن حدوث الزلزال العادي سبب من أسباب صعود مواد الأرض الباطنية العميقة إلى سطح الأرض وما تجدد البراكين بسبب حدوث الزلازل إلا شاهد حي على ما ذكرته، هذه الزلازل العادية التي عاشها الإنسان خلال وجوده على الأرض قد ادت إلى قتل ملايين البشر وإلى تبدلات ملحوظة في مظهر التضاريس وعملت على صعود كميات كبيرة من الصخور الباطنية نحو السطح فما بالك بزلزلة يوم القيامة التي ستنال كامل الأرض وليس مناطق محددة كما هو الأمر حالياً، وكيف يتم نسف الجبال والبحار وكيف تحمل الأرض والجبال وتدك دكة واحدة إن لم تكن قوة الدفع الباطنية زلزلة هائلة القوة، وهل من المعقول أن يحدث مثل هذا الواقع المرعب وتتبدل الأرض غير الأرض كما جاء في البيان الإلهي ولا تخرج الأرض أثقالها الباطنية وتدفع بصخورها المصهورة العالية الكثافة إلى سطح الأرض الخارجية فتمد الأرض مداً.

لقد أشار القرآن الكريم في هذه الآيات إلى حقيقة علمية كبيرة وهي إخراج الأرض أثقالها وكأن الأثقال مخبوءة في داخلها فيوم القيامة تخرج هذه الأثقال إلى سطحها وهذا دليل على اختلال في القوانين التي تشير إلى نهاية الدنيا ولقد كشف العلم على صدق الآية القرآنية وتوافقها مع ما توصل إليه علم الجيولوجيا وطبقات الأرض.

يقول علماء الأرض إذا فحصنا طبقات الأرض من طبقة القشرة إلى النواة فإنه يزداد الوزن النوعي للكثافة في الصخور تدريجياً حيث تزداد نسبة المركبات الجامدة على عنصر الحديد وأكاسيده المختلفة وذلك مع اقترابنا من النواة وتزايد الكثافة مرده أساساً إلى أمرين هما:

الأول: تزايد الضغط فكلما تعمقنا داخل الأرض تزايد وزن الطبقات الأرضية.

الثاني: عمليات الفرز الثقلي بسبب الحرارة العالية في نواة الأرض ومركزها مما يسمح بتمركز العناصر الجهدية الأثقل والأكثر كثافة في النواة بينما تتمركز في الأجزاء العليا من طبقات الأرض الصخور الرسوبية والغرانيتية ثم البازلتية في صخور القشرة الأرضية.

وفي نواة الأرض سواء الخارجية منها أو الداخلية يسيطر فيها الحديد وأكاسيده المختلفة (FeO, Fe so3) مع قليل من النيكل وكبريت الحديد، وبسبب ما ذكرناه يرتفع الوزن النوعي للنواة عامة إلى (٤. ٤ – ٥١٣).

وعندما تقع الزلزلة يوم القيامة المروعة التي ستستمر طويلاً لابد من أن تندفع كميات كبيرة من

الطبقات الباطنية العميقة ذات الوزن النوعي الكبير أن السطح الخارجي ويبين لنا الجدول التالي تزايد كل من قيم الوزن النوعي والكثافة في باطن الأرض لارتباطهما مع بعضهما البعض بالنسبة لبنية الأرض.

المطلب الثاني / هدايات السورة

يقول أحد الباحثين: أن سورة الزلزلة تحدثت عن يوم القيامة فهي تتحدث عن الزلزال العظيم الذي سيحدث في ذلك اليوم المهول وأن الأرض تزلزل زلزالها العظيم المهول الذي تشيب له النواصي وتضطرب له القلوب وتخشع قال تعالى: {وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا} أي أخرجت الأرض ما في جوفها من الموتى، وما فيها من شدة ما يصيبه من جوفها، من المال، وما في جوفها من الكنوز {وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا} الهول يقول (مَا لَهَا) ما الذي أصابها؟ يقول الله عز وجل {يَوْمَئذٍ} أي في ذلك اليوم {تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} تُخبر بما عمل عليها وهنا نقف ويقف كل واحد منا مع نفسه ماذا عمل على هذه الأرض التي يعيش عليها؟ أنت في غرفتك في مكتبك، في سيارتك، على مركوبك، أياً كان ذلك ماذا تريد أن يتحدث عنك ذلك في يوم القيامة؟ ستشهد عليك ويُدلي باعترافات لا يمكن لك أن تكذّبها لأنه لا يحمل إلا الحقيقة فماذا أنت قائل؟ ماذا يمكنك أن تعتذر عند الله عز وجل إذا أخبرت الأرض التي كنت عليها بأنك كنت تعصي الله فوقها، ماذا تملك عندها؟ إنّ على كل واحد منا أن يستعد من الأن لأن يكون له حظٌ من عبادة في كل أرض تطئوها قدمه ولذلك كان الصالحون من عباد الله يحرصون على أن لا يخلو مكاناً يحلون فيه من عبادة يتعبدون الله عز وجل بها ويذكرونه جل وعلا بها فإذا دخلت غرفة، أو فندقاً، أو مكاناً ما، أو روضة من الرياض، أو حديقة، صلّ فيها ركعتين، أقرأ فيها آية، أذكر فيها ربك، أعمل فيها خيراً، ليشهد لك يوم القيامة وتُدلي باعترافات تسرّك وتفخر بها في ذلك اليوم الذي لا ينفع الإنسان فيها إلا عمله الصالح، ثم قال {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} أي أن الناس في يوم القيامة يأتون من جهات مختلفة ليشاهدوا ما عملوه في الدنيا وليروه مجسماً ومجسداً أما أعينهم فأنت ترى إلى صلاتك، صومك، زكاتك، حجك، قيامك، ذكرك لله، إيمانك به، برّك لوالديك، صلتك لأرحامك، امرك بالمعروف، نهيك عن المنكر، بذلك للمال، إطعامك للفقراء، صلتك للأيتام وإكرامك لهم، وترى أيضاً في المقابل كل معصية عصيت الله بها، ترى عملك فيسُرك عملك الصالح ويسوؤك عملك السيء، وكل عمل من عملك فهو محسوب بدقة سواء كان ذلك من حركات القلب ومن خفقاته وخواطره وما يحول فيها او كان ذلك من حركة اللسان {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ} (سورة ق) أو كان ذلك من حركة الجوارح كل ذلك

يُجسّد لك ويكون أمامك ولذلك (عَتيدٌ) على الإنسان أن يحذر وقد خُتمت السورة بهاتين الآيتين المحذرتين لكل واحد منا {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه} فكل من عمل مثقال الذرة – ومثقال {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه} الذرة شيء قليل لا يمكن أن يحس به الإنسان لو أنك وضعت الذرة في كفك ما شعرت بشيء.

يقول أحد الباحثين: المقصود النملة هنا أو الذرة، قد وقع عليها الشيء الصغير من خلق الله عز وجل كالذرة من الرمل وغير ذلك، لو وضعتها في يدك لم تحس بها أصلاً، هذا ستراه يوم القيامة وسيبدو لك عياناً فكيف بما هو أعلى من الذرة؟ سبحان الله وسبحان الله وبحمده هذه فوق الذرة بكثير من قال ((سبحان الله وبحدمه غُرِست له نخلة في الجنة)) فهنا ينبغي للإنسان أن يتذكر وأن لا يستهين بأي عمل يقدّمه إن كان خيراً أو كان شراً، إن كان خيراً أن يستكثر منه وإن كان شراً أن يدعوى عنه وألا يحتقره والنبي (صلى الله عليه وسلم) نهانا عن المحقّرات قال: ((إياكم والمحقرات فإنهن يجتمعن على الرجل فيُهلكنهُ)) أي كما تجتمع الأشياء الصغيرة والحاجات الخفيفة لو أن النار سرت فيها لأحرقت قصراً بأكمله أو بيتاً بأكمله، وهكذا المسلم لا يحقر شيئاً من عمل الخير أن يقدّمه ولا شيئاً من عمل الشر أن يتركه. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم ممن يسارعون في الخيرات ويقيمون الصلاة ويؤدون ما أمر الله سبحانه وتعالى أن يؤدّى).

ومن اللطائف أن ذكر سبحانه تعالى في هذه السورة الكريمة ((مثقال الذرة)) ومثقال الذرة: هي زنة ذرة من التراب وقيل: هي أصغر النمل وهذا مثل ضربه الله على عدله أنه لا يظلم الإنسان مثقال ذرة، إن الله لا يظلم مثقال ذرة.

فهناك يوم الحساب قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم وهم أصحاب الأعراف فلو زادت حسناتهم حسنة واحدة لرجحت الكفة ولا تثقلوا من الأعراف إلى الجنان، فعلى الإنسان أن لا يحقر من المعروف شيئاً وإن كان يسير فربما يكون سبب نجاته في يوم القيامة.

الخاتمة

١- اختلف المفسرون في نزولها منهم من قال: نزلت في مكة ومنهم من قال نزلت في المدينة.

٢- سميت سورة الزلزلة لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال العظيم قبيل يوم القيامة.

٣- يوجد في السورة وجوه إعرابية وأخرى بلاغية.

٤- تناولت السورة الكريمة صورة من صور العرض والحساب يوم القيامة.

٥- في هذه السورة الكريمة حث للإنسان على العمل الصالح وإن كان صغيراً فربما يكون هذا العمل سبباً بدخوله إلى الجنة.